قرينة التضام في التراث اللغوي العربي بين النحاة والبلاغيين

أ.د بن علي سليمان - بودانة طه الأمين
جامعة عمار ثليجي الأغواط- الجزائر

ملخص:

مما لا شك فيه أن قرينة التضام كباقي القرائن اللفظية والمعنوية الأخرى لم تخلو منها كتب التراث اللغوي العربي، وإن لم تُشر إليها أحيانا تصريحا فقد أشارت إليها تلميحا، وقد تناولها كل من النحاة والبلاغيين من زاويته الخاصة، ولما كان هذان العلمان متكاملان كانت دراسة كل من الفريقين لهذه القرينة مكملة لنظيرتها؛ حيث انطلق البلاغيون من معطيات علم النحو في حدود الجملة ليلجوا حقل التركيب الذي يُعد فيه النص برمته بؤرة الاهتمام الرئيسية التي تدور حولها الدراسة، وهنالك ينفسح المجال للرؤى والأبعاد الفنية والجمالية.

الكلمات المفتاحية: قرينة؛ التضام؛ التراث؛ اللغوي؛ العربي؛ النحاة؛ البلاغيين.

***Abstract*:**

There is no doubt that the index of collocation, like all the other verbal and moral indexes, was not devoid of the books of the arabic linguistic heritag, although it is not sometimes referred to as a statement. It has been referred to as a hint. Both grammarians and scholars of rhetoric have dealt with it from its own point of view. The two groups of this theory complement their counterparts.

***keywords*:** *index ; collocation; heritage; linguistic; grammarians; scholars of rhetoric.*

تمهيد: يعد التضام "collocation" ظاهرة شكلية كبرى تصور خصائص النسيج اللغوي لأي لغة من اللغات الإنسانية؛ إذ إن لكل لغة خصائصها في تجاور كلماتها، ومن خلال هذا النسيج تتأتى معاني التراكيب اللغوية كلٌّ حسب سياقه، وتكمن خطورة هذه القرينة في كونها تؤدي وظيفة الربط بين أقسام الكلام في تسلسل مستمر لا متناهي، فهي مسؤولة إلى حد كبير عن استمرار الكلام وعن إبداع تركيب جديدة توا كب المستجدات؛ فهي سر بقاء اللغة وجوهر العلاقات التركيبية الأفقية " Syntagmatic relations".

التضام في التراث اللغوي العربي:

أ- التضام عند النحاة: يتجلى اعتماد النحاة الأوائل على هذه القرينة بشكل واضح في تقسيمهم للكلم العربي؛ فقد لاحظوا مجموعة من العلاقات الشكلية ترتبط أساسا بقرينة التضام استخدموها كمعيار للتفريق بين أقسام الكلم، نوجزها في النقاط التالية:

1- الكلمة التي تقع بعد حرف النداء لا تكون إلا اسما، وعلى هذا فإن حروف النداء لا تُضام إلا أسماء، يقول أبو البركات الأنباري (ت577ه):« فإن قيل: ما علامات الاسم؟ قيل: علامات الاسم كثيرة... ومنها النداء، نحو: يا زيد، ويا عمرو ومنها الترخيم، نحو: يا حار ويا مالِ في ترخيم "حارث ومالك"، وقد قرأ بعض السلف: ﴿وَنَادَوا يَا مَالِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾».[1]

2- الاسم المضاف يتطلب دوما مضافا إليه ولا تكون علاقة الإضافة إلا مع الأسماء، يقول ابن مالك (ت672ه):« ويعتبرُ الاسمُ بندائِهِ... وصلاحيته بلا تأويلٍ لإخبارٍ عنه، أو إضافةٍ إليه»؛[2] فتُعد علاقة الافتقار غير المتأصل بين المضاف والمضاف إليه عندهم علامة شكلية تدل على اسمية المضاف.

3- يقبل الاسم التضام مع "أل"التعريف غير الموصولة ولا الاستفهامية، نحو: "الدار، الرجل،..."، أما الموصولة فإنها قد تدخل على الفعل المضارع كقول ذي الخرق الطهوي:

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقا ** إلى ربنا صوت الحمار اليجدعِ

ويستخرج اليربوع من نافقائه ** ومن جحره بالشيحة اليتقصع[3]

يقول ابن هشام (ت761ه):« يتميز الاسم عن الفعل والحرف بخمس علامات:...، منها: أل غير الموصولة، كالفرس والغلام، فأما الموصولة فقد تدخل على المضارع، كقوله: [البسيط]

ما أنت بالحكم التُّرْضَى حُكُومتُهُ ** ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدلِ».[4]

4- تتضام الأسماء مع حروف الجر تضاما لفظيا، كقولنا:"خرجت من الدار"، أو تضاما معنويا كقولنا:" عجبت من أن قمت"، لأن الجملة المصدرية تُؤول بالاسم أي: "عجبت من قيامك".

5- يقبل الاسم أن يُسند إليه ما تتم به الفائدة سواء كان المسند فعلا أو اسما أو جملة؛ فالمسند يفتقر دوما افتقارا غير متأصل إلى اسم يُسند إليه، يقول ابن هشام:« فالاسم مَا يقبل "أل" أَو النداء أَو الْإِسْنَاد إِلَيْهِ...، الثَّالِثَة الْإِسْنَاد إِلَيْهِ وَهُوَ أَن يسند إِلَيْهِ مَا تتمّ بِهِ الْفَائِدَة سَوَاء كَانَ الْمسند فعلا أَو اسْما أَو جملَة، فالفعل ك "قَامَ زيد" ف "قَامَ" فعل مُسْند وَ"زيد" اسْم مُسْند إِلَيْهِ ،وَالِاسْم نَحْو: "زيد أَخُوك" فالأخ مُسْند وَزيد اسْم مُسْند إِلَيْهِ ،وَالْجُمْلَة نَحْو: "أَنا قُمْت" فَقَامَ فعل مُسْند إِلَى التَّاء وَقَامَ وَالتَّاء جملَة مُسندَة إِلَى "أَنا"، وَهَذِه الْعَلامَة هِيَ أَنْفَع عَلَامَات الِاسْم ».[5]

6- يتضام الفعل مع حروف خاصة منها حروف النصب ك: "أن، ولن، وكي،" وحروف الجزم ك: "لم، ولمّا، ولام الأمر، ولا الناهية،" وحروف الشرط ك: "إنْ، ولو، وأمَّا، ولولا، ونحوها،" وبعض الحروف الأخرى ك: "قد"، و"سوف"، "السين".

7- يتضام الفعل اللازم مع حروف جر خاصة توصله إلى المفعول به، نحو قولنا: " جلس محمد على الكرسي".

كما استفاد النحاة الأوائل من هذه القرينة في تحديد الأبواب النحوية، وسنكتفي بإيراد نموذجين فقط نظرا لضيق المجال المخصص للبحث، ففي باب المرفوعات استطاعوا أن يحددوا كلا من المبتدأ والخبر من خلال ظواهر التضام التي تتمثل في الاستغناء، والافتقار، والاختصاص، والذكر، والحذف، والإظهار والإضمار، والتنافر، والمناسبة المعجمية؛ فمن أبرز ما يميز كلاً من

المبتدأ والخبر الاستغناء عن العوامل اللفظية، وهو ما عبروا عنه بلفظ " التجرد عن العوامل اللفظية"؛ لأن المبتدأ مرفوع بعامل معنوي هو الابتداء، والخبر مرفوع بالمبتدأ أوبهما معا؛ يقول الزمخشري (ت 538ه):« هما الاسمان المجردان للإسناد نحو قولك:" زيد منطلق"؛ والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي " كان" و"إنّ" و"حسبت وأخواتها"، لأنهما إذا لم يخلوا منها تلعبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع، وإنما اشترط في التجريد أن يكون من أجل الإسناد لأنهما لو جردا للإسناد لكانا في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة»[6]، ويفتقر المبتدأ افتقارا متأصلا إلى الخبر؛ إذ لا غنى للمبتدأ عن الخبر، يقول ابن مالك (ت 672ه): والخبر الجزء المتمم للفائدة ** كالله بر، والأيادي شاهده[7]

كما تفطنوا للمناسبة المعجمية بين طرفي الإسناد فاشترطوا أن يكون الخبر صالحا لأن يُسند إلى المبتدأ، يقول ابن مالك:

ولا يكون اسم زمان خبرا ** عن جثة وإن يفد فأخبرا[8]

أما الحذف والذكر فيوجز ابن مالك صورة الاستفادة منهما في تحديد طرفي الإسناد في قوله في الألفية:

«وحذف ما يُعلم جائز كما ** تقول: "زيد" بعد من عندكما؟

وفي جواب كيف زيد قل دنف ** فزيد اُستغني عنه إذ عُرف

وبعد لولا غالبا حذف الخبر ** وفي نص يمين ذا استقر

وبعد واو عيّنت مفهوم مع ** كمثل كل صانع وما صنع»[9]

وفي مقابل هذا استفادوا كذلك من قرينة التضام السلبي أو التنافر في معرفة المواضع التي يُحذف فيها الخبر وجوبا، فبعد واو المعية التي لا يصح أن تكون عاطفة يجب حذف الخبر كقولنا: "كل صانع وما صنع" أي: "كل صانع وما صنع مقترنان"، كذلك لا يكون خبر في ورود الحال

بعد المبتدأ كقولنا: "ضربي العبد مسيئا"، فالحال تسد مسد الخبر، يقول ابن مالك (ت672ه) في ألفيته:

«وقبل حال لا يكون خبرا ** عن الذي خبره قد أضمرا

كضربي العبد مسيئا، وأتم ** تبييني الحق منوطا بالحكم[10]»

ولاحظوا أن المبتدأ إذا تضامَّ مع أداة استفهام أو نفي وكان وصفا وما بعده مثنى أو جمع فإن المبتدأ حينذاك يفتقر افتقارا متأصلا إلى الفاعل أو نائبه بدلا عن الخبر، كقولنا:"أقادمٌ أخواك؟"، "ما مخذول تابعوك"، ف" أخواك": فاعل سد مسد الخبر، و" تابعوك": نائب فاعل سد مسد الخبر، يقول ابن يعيش (ت643ه):« قال: "ومن ذلك قولهم: أقائمٌ الزيدان" يعني أنّه حُذف الخبر لِسَدّ الفاعل مَسَدَّه، واعلمْ أن قولهم: "أقائمٌ الزيدان" إنّما أفاد نَظرًا إلى المعنى، إذ المعنى: أيقوم الزيدان؟ فتَمَّ الكلامُ، لأنّه فعلٌ وفاعلٌ، و"قائمٌ" هنا اسمٌ من جهةِ اللفظ وفعلٌ من جهةِ المعنى، فلمّا كان الكلام تامًّا من جهة المعنى أرادوا إصلاحَ اللفظ، فقالوا: "أقائمٌ" مبتدأٌ و"الزيدان" مرتفعٌ به، وقد سد مسدَّ الخبر من حيثُ إن الكلام تَمَّ به، ولم يكن ثَمَّ خبرٌ محذوفٌ على الحقيقة. ولو قلت: "قائم الزيدان" من غيرِ استفهام لم يجز عند الأكثر، وقد أجازه ابنُ السرَّاج، وهو مذهبُ سيبويه لتضمُّنه معنَى الفعل، وإن كان فيه قُبْحٌ؛ لأنّ اسم الفاعل لا يعمل عملَ الفعل حتّى يعتمد على كلام قبله من مبتدأ، نحوِ: "زيدٌ ضاربٌ أبوه"، أو موصوفٍ، نحوِ: "مررتُ برجلٍ ضارب أبوه"، أو ذي حالٍ، نحوِ: "هذا زيدٌ ضاربًا أبوه"، أو على استفهام، أو نفي بخِلافِ الفعل، فإنّه يعمل معتمِدًا وغيرَ معتمد».[11]

أما في باب المنصوبات فقد اشترط النحاة للمفعول معه - مثلا- أن يتضام مع الواو التي تكون بمعنى " مع "، وهي بدورها يُشترط لها أن تتضام مع الفعل أو ما هو بمعنى الفعل؛ فمن تضامها مع الفعل قولنا مثلا: " ما صنعتَ وأباك؟ "،و "ما زلتُ أسير والقمرَ "، وقول الله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾[يونس: 71]، وقول الشاعر:

فكونوا أنتم وبني أبيكم ** مكان الكليتين من الطحال[12]

ومن تضامها مع ما هو بمعنى الفعل قولنا مثلا: " مالك وزيدا "، و" ما شأنك وعمرا "؛ لأن المعنى ما تصنع وما تلابس؟، وكذلك قولنا: " حسبك وزيدا درهمٌ "؛ لأنها بمعنى " كفاك "، وقول مسكين الدارمي:

فما لك والتلددَ حول نجد ** وقد غصت تهامة بالرجال[13]

وأكثر النحويين يشترطون في المفعول معه أن يتضام مع جملة تامة لأنه فضلة؛ فيوجبون الرفع، كقول المخبّل السعدي:

يا زبرقان أخا بني خَلَف ** ما أنت وَيْبَ أبيك والفخرُ![14]

وقد أجاز بعضهم النصب على تقدير خبر محذوف، منهم إمام النحاة سيبويه (ت 180ه) والصيمري (ت 436ه)، فالعرب تقول:" ما أنت وعبدَ الله ؟"، و" كيف أنت وقصعةً من ثريد؟"، و" كل رجل وصنعتَه "، ويقول أسامة بن حبيب الهذلي: فما أنا والسيرَ في مَتْلَف ** يبرح بالذكر الضابط.[15]

والتقدير: "ما كنت أنت وعبدَ الله "، و" كيف تكون أنت وقصعةً من ثريد"، و" كل رجل كائن وصنعتَه"، و" فما أنا كائن والسيرَ "، يقول سيبويه:« وزعموا أنَّ ناسا يقولون: كيف أنت وزيداً، وما أنت وزيدا. وهو قليل في كلام العرب، ولم يحملوا الكلام على ما ولا كيف، ولكنهم حملوه على الفِعل، على شيء لو ظَهَرَ حتَّى يَلفظوا به لم يَنقُضْ ما أرادوا من المعنى حين حملوا الكلام على ما وكيف، كأَنه قال: كيف تكون وقصعةً من ثريد، وما كنتَ وزيداً، لأنَّ كنتَ وتكونُ يقعان ها هنا كثيرا ولا يَنقضانِ ما تريد من معنى الحديث. فَمَضى صدرُ الكلام وكأَنّه قد تَكلم بها " وإن كان لم يَلفظ بها، لوقوعها ههنا كثيرا "».[16]

كما يشترط بعض النحويين أن يتضام المفعول معه مع جملة مكونة من فعل وفاعل دون المفعول نحو قولنا:" سرتُ وزيدا"؛ لئلا يلتبس المفعول معه بالمفعول به، فلا يقال لذلك:" ضربتك وزيدا" على أن "زيدا" مفعول معه، « وإذا أُريد المفعول معه أُتي بالأصل وهو "مع" »[17].

ب- التضام عند البلاغيين:

لقد نقل البلاغيون الاهتمام من حقل التحليل نحو حقل التركيب، فانتقلوا من ضيق الجملة إلى سعة النص مما انجر عنه عناية خاصة منهم بأحوال تآلف الوحدات اللغوية وتضامها متلائمة آخذا بعضها بأعناق بعض حتى يصير الكلام نسيجا محكما متلائم الأجزاء، فتأخذ كل وحدة من هذه الوحدات موقعها اللائق بها في هذا النسيج كحبات العقد الذي فُصلت أسماطه بالجواهر واللآلئ فخلص على أتم تأليف وأرشق نظام، وبرزت هذه العناية بصفة خاصة في حقل إعجاز القرآن، لأن حقيقة الإعجاز لا تكمن في أفراد الكلمات وإنما تكمن في تضامها على طريقة مخصوصة يكسبها رونقا خاصا، فالقرآن الكريم انفرد نظمه عن كلام العرب بما تميز به من تآلف كلماته وحروفه وأصواته تآلفا يستريح له السمع والصوت والنطق وتضامّها على نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع ما كان ليكون لو تخلفت كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب[18]، يقول القاضي عبد الجبار (ت 415ه):« اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر في الكلام في الضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة بأن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع»، ويتحدث عبد القاهر الجرجاني (ت471ه) عن الضم بمعنى المجاورة والتأليف والرصف إثر تحليله لقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ولما قضينا من منى كل حاجة ** ومسح بالأركان من هو ماسحُ
وشُدت على دهم المهارى رحالنا ** ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ** وسالت بأعناق المطي الأباطح

فيقول: «حتى إنّ فَضْلَ تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة لو ذُكرتْ على الانفراد، وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه، وحتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي وإن ازدادت حُسناً بمصاحبة أخواتها واكتست بهاءً بمُضَامَّة أترابها فإنها إذا جُلِيتْ للعين فَرْدةً، وتُركت في الخيط فَذَّة، لم تعدم الفضيلة الذاتية، والبهجة التي في نفسها مَطويَّة والشَّذْرةِ من الذهب تراها بصُحْبة الجواهر لها في القلادة، واكتنافها لها في عنق الغَادة، ووَصْلها بريقَ جَمرتها والتهاب جَوْهَرها، بأنوار تلك الدُّرَر التي تجاورها، ولألاء اللآلئ التي تُناظرها تزداد جمالاً في العين، ولُطْف

موقع من حقيقة الزين، ثم هي إن حُرِمت صُحبة تلك العقائل، وفَرَّقَ الدهرُ بينها وبين هاتيك النفائس، لم تَعْرَ من بَهْجتها الأصيلة، ولم تذهب عنها فضيلة الذَّهبية، كلاَّ، ليس هذا بِقياس الشعر الموصوفِ بحسن اللفظ، وإن كان لا يبعد أن يتخيّله مَنْ لا يُنعم النظر، ولا يُتمّ التدبُّر، بل حقُّ هذا المثل أن يوضع في نصرة بعض المعاني الحكمية والتشبيهية بعضاً، وازدياد الحسن منها بأن يجامعَ شكلٌ منها شكلاً، وأن يصل الذِّكرُ بين متدانيات في ولادة العقول إياها، ومتجاوراتٍ في تنزيل الأفهام لها»[19].

ويورد البلاغيون مصطلحات عديدة تدور في فلك التضام كالتأليف والرصف والمصاحبة والتجاور والنسق والنضد والتلفيق، وجميع هذه المصطلحات لها موقعها البارز والمحوري في النظريات الحديثة التي توصلها إليها علماء الغرب في مجال لسانيات النص، يقول الجرجاني متحدثا عن مزية التركيب والتأليف والترتيب:« ومن البيّن الجليّ أن التباينَ في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة ليس بمجرَّد اللفظ، كيف والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عَدّاً كيف جاء واتَّفق، وأبطلت **نضدَهُ** ونظامه الذي عليه بُني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، و**بنَسَقِه** المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول في:" قِفا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ ومنزل " منزل قفا ذكرى من نبك حبيب، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهَذَيان»،[20] ويقول في السياق ذاته مستخدما مصطلح التلفيق:« وهَلْ يقع في وَهْم وإنْ جُهِد أن تتفاضلَ الكلمتانِ المُفردتان مِنْ غيرِ أن يُنظَر إلى مكانٍ تقعانِ فيه منَ **التأليف والنظمِ**، بأكثرَ من أن تكونَ هذه مألوفةً مستعملةً، وتلك غريبةً وحشية، أو أن تكونَ حروفُ هذه أَخَفَّ، وامتزاجُها أَحسنَ، ومما يَكُدُّ اللسانَ أَبْعَدَ؟ وهل تَجد أحداً يقولُ: "هذه اللفظةُ فصيحةٌ"، إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم، وحسنَ مُلاءمةِ معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟، وهل قالوا: "لفظةٌ متمكِّنةٌ، ومقبولةٌ"، وفي خلافِه: "قلقة، ونابية، ومستكرهة"، إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسنِ الاتفاقِ بينَ هذه وتلك مِن جهةِ معناهُما، وبالقَلَقِ والنُّبوِّ عن سوء **التَلاؤم**، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها، وأن السابقَةَ لم تصلُحْ أن تكونَ **لِفْقاً** للتالية في مؤادها؟»[21]. وتتوصل نظرية النظم الجرجانية إلى حقيقة غاية في الأهمية في مجال لسانيات النص مفادها أن "الكلام المفيد ما هو إلا حصيلة لتضام اللفظ مع غيره من الألفاظ المناسبة له دلاليا، وذلك في

إطار العلاقات النحوية الجامعة بينها"،[22] وقد عبر الجرجاني عن هذا التضام بمفهوم "التعليق" الذي له الفاعلية العظمى في عملية تركيب وتضام الكلمات سواء من الناحية الدلالية أو النحوية، يقول الجرجاني:« ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق بعض الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث، اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ولا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما»[23]، ويشير الجرجاني في هذه النظرية إلى قرينة التضام على أنها استلزام عنصر نحوي عنصرا نحويا آخر واستلزام كلمة كلمةً أخرى في قوله:« وإذ قد عرفْتَ أنَّ مدارَ أمرِ "النظْم" على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لهال ازدياداً بَعْدها، ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ»،[24] فقوله:« ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ» يشير به إلى قرينة الرتبة، وأما قوله:« واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ» فيشير به إلى قرينة التضام من حيث هي تطلب إحدى الكلمتين الأخرى واستدعاؤها إياها، وعلى هذا فإن نظرية النظم الجرجانية تعد نظرية متكاملة الأركان والقواعد تهتم بدراسة النص الأدبي باعتباره كيانا بنائيا مؤلفا من وحدات لغوية متضامة بعضها إلى بعض في المواقع اللائق بها في التركيب حسب ما يقتضيه السياق بأبعاده النحوية واللغوية تبعا لمتطلبات النظام اللغوي.[25]

وقد أشار الجرجاني (ت471ه) إلى معظم الأدوات المحققة للتماسك النصي مما استقر عليه الدرس اللساني المعاصر، كما تناول الفروق بين استعمال الأدوات المختلفة المحققة للاتساق والانسجام على مستوى البنية السطحية والعميقة- وهو الأمر الذي شغل "فان دايك" "Van Dick" حين اهتم بهذه الروابط مقسما إياها إلى الربط بالعطف والوصل والفصل، كما أشار إلى العلاقات المكانية والسببية والحالية والزمنية مما يدخل في إطار معاني النحو عند الجرجاني-، يمكن أن نلمس هذا مثلا في قول الجرجاني:« وينظرَ في "الحروف" التي تَشْتركُ في معنىً ثم يَنفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلًا من ذلك في خاصّ معناهُ، نحْوَ أن يجيءَ بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ "إنْ" فيما يترجَّحُ بينَ أن يكونَ وأنْ لا يكون، وبـ "إذا" فيما عُلِمَ أنه كائنٌ. وينظرَ في "الجملِ" التي تُسْرَدُ فيعرفَ موْضعَ الفصلِ فيها مِن موضعِ الوَصْل، ثم

يعرفَ فيما حقُّه الوصْلُ موضعَ "الواو" من موْضع "الفاء"، وموضعَ "الفاء" من موضع "ثُمَّ"، وموضعَ "أو" من موضع "أم"، وموضَعَ "لكنْ" من موضع "بل".

ويتصرَّفَ في التّعريفِ والتَّنكيرِ والتّقديمِ والتأخير في الكلام كلِّه، وفي الحذف، والتكرار والإضمار، والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانَه، ويستعملَه على الصِّحة وعَلَى ما ينبغي له»،[26] فالجرجاني قد تناول بالتفصيل آليات تحقيق التماسك النصي متمثلة في ظواهر التضام من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وحذف، وتكرار، وإضمار وإظهار، ووصل وفصل، وأكد عليها بالأمثلة التطبيقية وبين علاقتها بالسياق وخضوعها لقصد المتكلم وظروف المتلقي، فنظرة الجرجاني تتقاطع كليا مع نظرة فان دايك "Van Dick " ؛ فكلاهما دعا إلى الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص مع أفضلية السبق الزمني للجرجاني.

خاتمة:

خلاصة ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث ما يلي:

1- لاحظ النحاة مجموعة من العلاقات الشكلية ترتبط أساسا بقرينة التضام استخدموها كمعيار للتفريق بين أقسام الكلم.

2- استطاع النحاة أن يحددوا الأبواب النحوية من مرفوعات ومنصوبات ومجرورات من خلال ظواهر التضام التي تتمثل في الاستغناء، والافتقار، والاختصاص، والذكر، والحذف، والإظهار والإضمار، والتنافر، والمناسبة المعجمية.

3- نقل البلاغيون الاهتمام من حقل التحليل نحو حقل التركيب؛ وانجر عن ذلك عناية خاصة منهم بأحوال تآلف الوحدات اللغوية وتضامها.

4- توصل البلاغيون إلى أن حقيقة الإعجاز للنظم القرآني لا تكمن في أفراد الكلمات، وإنما تكمن في تضامها على طريقة مخصوصة يكسبها رونقا خاصا.

5- أورد البلاغيون مصطلحات عديدة تدور في فلك التضام، كالتأليف والرصف والمصاحبة والتجاور والنسق والنضد والتلفيق، وجميع هذه المصطلحات لها موقعها البارز والمحوري في النظريات الحديثة التي توصلها إليها علماء الغرب في مجال لسانيات النص.

6- توصلت نظرية النظم الجرجانية إلى حقيقة غاية في الأهمية مفادها: أن "الكلام المفيد ما هو إلا حصيلة لتضام اللفظ مع غيره من الألفاظ المناسبة له دلاليا، وذلك في إطار العلاقات النحوية الجامعة بينها".

الهوامش والإحالات

[1]- أبو البركات الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط: 2، 1430ه، ص: 39.

[2] - ابن مالك محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي: بيروت، 1387ه، ص: 3.

[3] - عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418ه: 1/ 35.

[4] - ابن هشام عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1429، ص: 44، 45.

[5] - ابن هشام عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة: سوريا، (د،ط- د، ت)، ص: 23.

[6] - الزمخشري محمود بن عمرو، المفصل في علم العربية، تح: علي بو ملحم، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1413ه، ص: 43.

[7] - ابن مالك، ألفية ابن مالك، دار التعاون، (د،ط- د، ت)، ص: 17.

[8] - المصدر نفسه: 17.

[9] - المصدر نفسه: 18.

[10] - المصدر نفسه: 18.

[11] - ابن يعيش يعيش بن علي، شرح المفصل، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422-2002: 1/ 243.

[12] - البيت بلا نسبة، ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط- د، ت) : 1/ 298.

[13] - ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418- 1998 : 3/ 142.

[14] - أبو سعيد السيرافي، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد علي هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1394- 1974: 1/ 144.

[15] - الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تح: محمد الشنقيطي، الدار القومية: القاهرة، 1385ه: 2/ 195.

[16] - سيبويه، كتاب سيبويه: 1/ 303.

[17]- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب تح: رجب عثمان محمد،، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418- 1998: 3/ 1492.

[18] - ينظر: محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1398-1978، ص: 86.

[19] - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، جدة، ص: 24.

[20] - المصدر نفسه، ص: 1، 2.

[21] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، جدة، ط: 3، 1413- 1992، ص: 45.

[22] - اسماعيل غازي دويدار، قرينة التضام في القرآن الكريم، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1425ه- 2004، ص: 23.

[23] - الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 13.

[24] - المصدر نفسه، ص: 87.

[25] - ينظر: محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر: بيروت- دمشق، ط: 1، 1420، 1999، ص: 126، بوضياف محمد الصالح، قرينة التضام في القرآن الكريم في سورتي هود وطه، مخطوط رسالة ماجستير، 1430/ 1431، جامعة تلمسان، ص: 100.

[26] - الجرجاني، دلائل الإعجاز: 82.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأنباري أبو البركات، أسرار العربية، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط: 2، 1430ه.

2- الأندلسي أبو حيان، ارتشاف الضرب من لسان العرب تح: رجب عثمان محمد،، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418- 1998.

3- البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418ه- 1998.

4- الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، جدة.

5- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، جدة، ط: 3، 1413- 1992.

6- جلال مصطفاوي، نماذج وصف النص من الرؤية النحوية إلى الرؤية الاتصالية، مقال منشور بمجلة اللغة والاتصال، وهران، العدد: 12، ماي 2012.

7- جلال مصطفاوي، الدرس النحوي من الجملة إلى النص "مقدمة للقارئ العربي"، مقال منشور بمجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد: 2، ديسمبر 2011.

8- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط: 5، 1427- 2006.

9- خطابي محمد، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب"، ط: 1، دار قباء، القاهرة.

10- دويدار اسماعيل غازي، قرينة التضام في القرآن الكريم، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 1425ه- 2004.

11- الزمخشري محمود بن عمرو، المفصل في علم العربية، تح: علي بو ملحم، دار الهلال: بيروت، ط: 1، 1413ه.

12- أبو زيد نصر حامد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط: 5، 2006.

13- السجلماسي أبو محمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، 1400- 1980.

14- سيبويه عمرو بن عثمان أبو بشر، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د، ط- د، ت).

15- السيرافي أبو سعيد، شرح أبيات سيبويه، تح: محمد علي هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1394- 1974 .

16- الشعراء الهذليون، ديوان الهذليين، تح: محمد الشنقيطي، الدار القومية: القاهرة، 1385ه.

17- شيخون محمود السيد، الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: 1، 1398- 1978.

18- بوضياف محمد الصالح، قرينة التضام في القرآن الكريم في سورتي هود وطه، مخطوط رسالة ماجستير، 1430/ 1431، جامعة تلمسان.

19- طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2000.

20- عباس محمد، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر المعاصر: بيروت- دمشق، ط: 1، 1420، 1999.

21- العبد محمد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط: 1، 1989.

22- العسكري أبو هلال، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419- 1999.

23- عفيفي أحمد، نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط: 1، 2001.

24- عمر أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط: 5، 1418- 1998.

25- ابن مالك محمد بن عبد الله، ألفية ابن مالك، دار التعاون، (د،ط- د، ت).

26- ابن مالك محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي: بيروت، 1387ه- 1977.

27- مصلوح سعد عبد العزيز، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، جامعة الكويت، ط: 1، 2003- 1423.

28- ابن المعتز عبد الله بن محمد، البديع في البديع، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1410- 1990.

29- ابن هشام عبد الله بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1429.

30- ابن هشام عبد الله بن يوسف، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة: سوريا، (د،ط- د، ت).

31- ابن يعيش يعيش بن علي، شرح المفصل، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422- 2002.

تاريخ الارسال:2018-01-06

تاريخ القبول: 2018-05-09

تاريخ النشر: 2018-06-02